

الفرج بعد الشدة

[246] سنة . قلت هذه الدار لمن ؟ قال لابن داية أمير المؤمنين وهو الآن صاحب جهذة وصاحب بيت ماله . فقلت بمن يعرف ؟ قال بابن فلان الصيرفي فسماني . فقلت: هذه الدار من باعها عليه قال هذه دار أبيه . فقلت وهل يعيش أبوه ؟ قال: لا . قلت أفتعرف عن حديثهم شيئاً ؟ قال: نعم . حدثت أن هذا الرجل كان صيرفياً جليلاً وافتقرو أن أم هذا الفتى ضربها الطلق فخرج أبوه يطلب لها شيئاً ففقد وهلك . فقال أبى: فجاءني رسول أم هذا الغلام تستغيث بي فقمتم لها بحوائج الولادة . ودفعت لها عشرة دراهم فما أنفقتها حتى قيل قد ولد لامير المؤمنين الرشيد مولود وقد عرض عليه جميع المراضع فلم يقبل ثديهن ، وقد طلب له الحرير فجأؤه بغير واحدة فما أخذ ثدي واحدة منهن وهم في طلب مرضع فأرشدت الذي طلب الداية إلى أم هذا ، فحملت إلى دار الرشيد وحين وضع فم الصبي على ثديها قبله فأرضعته . وكان الصبي هو المأمون وصارت عندهم في حالة جليلة ، ووصل إليها منهم خير عظيم . ثم خرج المأمون إلى خراسان فخرجت هذه المرأة وابنها هذا معهم ولم يعرف أخبارهم إلا منذ قريب لما عاد المأمون وعادت حاشيته ، وقد رأينا هذا قد جاء رجلاً وأنا لم أكن رأيت قط . وقد كان أبى قد مات فقالوا: هذا ابن فلان الصيرفي وابن مرضعة الخليفة فبنى هذه الدار وسواها . فقلت له: أفعندك علم من أمه أهي حية أم ميتة ؟ فقال: هي حية تمضي إلى دار الخليفة أياماً وتكون عند ابنها أياماً وهي الآن هنا . فحمدت الله على هذه الحالة وجئت حتى دخلت الدار مع الناس فرأيت الصحن في نهاية العمارة والحسن ، وفيه مجالس كثيرة مفروشة بفرش ظاهرة ، وفي صدره رجل شاب بين يديه كتاب وجهابذة وحساب يستوفيه عليهم ، وفي ضفاف الدار ومجالسها جهابذة بين أيديهم الاموال والتخوت والشواهي ، يقبضون ويقبضون ، وبصرت بالفتى فرأيت شبيهي فيه . فعلمت أنه ابني فجلست في غمار الناس إلى ان لم يبق في المجلس غيري فأقبل إلى فقال: يا شيخ هل من حاجة تقولها ؟ قلت: نعم ، ولكنها لا يجوز أن يسمعها غيرك . ثم أومأ إلى غلمان كانوا قياماً حوله فانصرفوا فقال: قل أعزك الله . قلت أنا أبوك . فلما سمع ذلك تغير وجهه ولم يكلمني
